المحاضرة الثّامنة : نظريات التعلّم-(النّظرية السّلوكية)

مقدّمة

سُميّت نظريات التّعلم بالكلاسيكية ليس للإشارة إلى أنّ الأمر يتعلّق بنظريات قديمة، بل أنّه إشارة إلى مجمل النّظريات السّيكولوجية (النّفسية) المعروفة، التي تميّزت بمعالجة مفهوم التعلّم في سياقات عامة، أي لا تقتصر على السّياق المدرسي فحسب، إنّما لها اتصال وثيق بالعلاقة القائمة ة بين الذّات المتعلّمة وموضوع التعلّم عام .

01/- مفهوم النّظرية:

أ-/ **لغة**: يقال نظري عكس عملي، والنظرية وسيلة بحثها الفكر، والنّظرية طائفة من الآراء تفسّر بها بعض الوقائع العلمية (المعجم الوسيط).

ب-/ اصطلاحا :

✓ هي عبارة عن مجموعة من البناءات والافتراضات المترابطة التي توضّح العلاقات القائمة بين عدد من المتغيّرات، وتهدف إلى تفسير ظاهرة والتّنبؤ. وتتضمّن فروع العلوم المختلفة عددا غير محدود من النّظريات التي تقدم تفسيرات وتوضيحات للظّواهر والأحداث التي تتناولها.

✓ مجموعة المبادئ المترابطة التي توجّه، العملية التربوية، وتحكم الممارسات التّعليمية محاولات منظمة لتوليد المعرفة حول السلوك الإنساني وتنظيمها وتجميعها في أطر من الحقائق والمبادئ والقوانين، بهدف تفسير الظاهرة السلوكية والتنبؤ وضبطها .

✓ هي أسس نظرية وضعت عن طريق الافتراضات والتّجارب المتعددة لمعرفة الخواص الإنسانية وما تنطوي عليه من ميول وغرائز واتجاهات ومواقف واستعدادات ومواهب، حتى تضع طرقا تدريسية تكون مبنية على أسس هذه النظريات.

2/النّظرية السّلوكية:

تبدأ هذه النّظرية من المسلّم الرئيس مثير استجابة ؛ أي لا استجابة من دون مثير وبأنّ التّعلم يحدث لحدوث ارتباط بين مثير ما واستجابة معيّنة، بحيث إذا ظهر هذا المثير مرة أخرى سوف تظهر

الاستجابة التي ارتبطت به هي الأخرى، كما هو مألوف عند السلوكيين أمثال (واطسون) و (سكينر) و بلومفيد في مجال الدراسات اللسانية.

النّظرية السّلوكية: وليدة المدرسة السّلوكية التي من أشهر مؤسّسيها الأمريكي (واطسون) (watson)، وكان ذلك في مطلع القرن العشرين وبالتحديد سنة 1912 بالولايات المتحدة، وهي مدرسة تنظر إلى الإنسان على أنه آلة ميكانيكية مركّبة معقّدة، يحكمه السّلوك استجابةً للمحيط أو المثير، وترفض رفضا قاطعا وجود قدرات واستعدادات فطرية، وتنفي وجود غرائز موروثة وذكاء موروث، فالذكاء مجموعة معقّدة من عادات يكتسبها الفرد بالممارسة والتدريب أثناء نموّه وفي حياته كلها، لذلك يقول (واطسون)" :أعطوني عشرة من أطفال أصحاء أسوياء التكوين، فسأختار أحدهم جزافا ثم أدرّبه فأصنع منه ما أريد: طبيبا أو فنّانا أو عالما أو تاجرا أو لصّا، أو متسوّلا، ذلك بغض النّظر عن ميوله ومواهبه وسلالة أسلافه."

من مرتكزات نظرية التّعلم السلوكية ما يلي:

- -التركيز حول مفاهيم السّلوك من خلال علاقته بعلم النّفس.
- الاعتماد على الاختبار والملاحظة وعلى القياس التّجريبي لمراقبة ذلك السلوك.
- عدم الاهتمام بما هو تجريدي غير قابل للملاحظة والقياس .
- التعلّم بالتّقليد والمحاكاة .

بعد المدرسة التي تزعمها (واطسون)، ظهرت السلوكية الجديدة بزعامة سكينر (skinner) التي أعرضت عن أفكار (واطسون) وعن التّفسير الآلي للسّلوك، فكانت ترى إمكانية دراسة الحالات الشّعورية عن طريق التّقرير اللفظي، سعى (سكينر) إلى تطبيق مبادئه السلوكية على المشكلات التي تجابه الإنسان في حياته اليومية، لهذا وُسمت أعماله بالعلاج السلوكي، وتوّجت بالنظرية الإجرائية أو نظرية الاشتراط الإجرائي .

يعرّف (سكينر) السّلوك بأنّه مجموعة استجابات ناتجة عن مثيرات المحيط الخارجي، وهو أن يتّم دعمه وتعزيزه فيتقوى حدوثه في المستقبل أو لا يتلقى دعما فيقلّ احتمال حدوثه. ويعتبر (سكينر)الطّفل في عالم التربية يتعلّم لينجو من العقاب فحسب، مع غياب كلّ أشكال الدعم

والتحفيز الإيجابيين، و يرى أنّه من الضّروري أن يحتوي المضمون المعرفي على أربعة أدوار هامة وهي :

- ❖ **محدّد الإثارة:** أي كلّ مضمون معرفيّ يقدّم للتلميذ لابدّ أن تتوفّر فيه شروط قادرة على إثارة لاهتمام والميول والحوافز-
- ❖ **محدّد العرض النسقي للمادة:** ومعناه تفكيك وتقسيم المادة وفق وقائع ومعطيات مع ضبط العلاقات بين مكونات، ثم تقديمها وفق تسلسل متدرّج ومتكامل.
- ❖ **محدّد التناسب والتكيّف** : أي أنّ المادة المقدّمة للمتعلم يجب أن تتناسب ومستوى نموه من جميع النّواحي .

4- **محدّد العزيز الفوري**: أي كلما تم تعزيز الاستجابات الإجرائية الإيجابية عند المتعلم كلما وقع التعلم بسرعة أكبر

03/ - نقد النّظرية السّلوكية : كما سبق الذكر فالنظرية السلوكية تركّز أساسا على ما هو تجريبي وتطبيقي وفق ثنائية مثير/استجابة من أجل تلقين المعرفة وتقييمها عن طريق الملاحظة والقياس، وأن المؤثرات الخارجية هي وحدها القادرة على إيصال المعرفة وترسيخها في ذاكرة الفرد لتنعكس على سلوكه الظاهر، لكن في المقابل أهملت كل ما له علاقة بالإرادة الذاتية للمتعلم ورغبته في التعلم وكذا قدرات الفرد الإبداعية والمهاراتية وميولاته الشخصية، كأن المتعلم مجرد آلة يتم توجيهها.